منهج الدبوسي في ترتيب وتناول موضوعات الإجماع في كتابه تقويم الأدلة، «دراسة أصولية»

عبد الله سعد سالم العازمي
دكتوراه في الفقه المقارن والسياسة الشرعية
معلم في إدارة الدراسات الإسلامية

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 2 | العدد 42
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.2 | Issue 42
ISSN: 2225-9732
March 2026

الملخص

تناولت هذه الدراسة أحد الموضوعات الجوهرية في علم أصول الفقه الإسلامي، وهو المنهج الذي اتبعه الإمام الدبوسي في ترتيب وتناول موضوعات الإجماع، وذلك من خلال دراسة أصولية نقدية، وقد ركزت مشكلة الدراسة على تتبع منهج الإمام الدبوسي في عرض هذه الموضوعات، وإيضاح الأساليب التي اعتمدها في تصنيف وترتيب مباحث الإجماع، بما يكشف عن مدى دقة منهجه في معالجة القضايا المتعلقة بالإجماع، وأثر ذلك في الفكر الأصولي، كما سعت الدراسة إلى بيان كيف تعامل الإمام الدبوسي مع الإشكاليات التي تطرأ في مباحث الإجماع، وكيفية عرضه للمسائل الخلافية المتعلقة به، مع محاولة إبراز منهجه الخاص في التنظيم والتبويب.

وقد قسم الباحث هذه الدراسة إلى عدة أجزاء رئيسية، بدءاً بالمقدمة التي بينت دوافع اختيار الموضوع وأهميته، ثم التمهيد الذي تناول فيه التعريف بالمناهج الأصولية بشكل عام، مع استعراض لترجمة الإمام الدبوسي وسيرته العلمية، وذلك لإعطاء صورة شاملة عن خلفية الإمام الفكرية ومدى تأثيره في علم الأصول، وتلا ذلك المبحث الأول الذي خصص لعرض منهج الإمام الدبوسي في ترتيب وتناول موضوعات الإجماع، حيث تم فيه تحليل خطواته المنهجية وأسلوبه في تقسيم المباحث، وإبراز جوانب الإبداع والتجديد في معالجته لمسائل الإجماع.

وقد اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الاستقرائي، الذي يقوم على تتبع أقوال الإمام الدبوسي ونصوصه المتعلقة بالإجماع، والمنهج الوصفي الذي يصف بدقة منهج الإمام في ترتيب وعرض الموضوعات، والمنهج التحليلي الذي يحلل مضامين نصوصه ويستخرج منها القواعد والأصول.

الكلمات المفتاحية: أصول الفقه، مناهج الأصوليين، الإجماع، الترتيب والعرض، التطبيقات الفقهية، المنهج التحليلي.

Abstract:

This study addresses one of the fundamental topics in Islamic legal theory (Usul al - Fiqh): the methodology adopted by Imam al - Dabusi in organizing and presenting the subjects of Consensus (Ijma'), through a critical foundational study. The research problem focuses on tracing al - Dabusi's approach to presenting these topics and elucidating the methods he employed in classifying and arranging the chapters of Consensus. This reveals the precision of his methodology in handling issues related to Ijma' and its impact on foundational thought. Furthermore, the study seeks to clarify how Imam al - Dabusi dealt with the complexities arising within the discussions of Consensus and how he presented the associated controversial issues, while highlighting his unique method of organization and categorization.

The researcher structured this study into several main sections, beginning with an introduction that outlines the motives for choosing the topic and its significance. This is followed by a preliminary section defining foundational methodologies in general and providing a biography of Imam al - Dabusi to offer a comprehensive view of his intellectual background and influence on Usul al - Fiqh. The first chapter is dedicated to presenting Imam al - Dabusi's methodology in arranging and addressing the topics of Consensus, analyzing his systematic steps and style in dividing chapters, while highlighting aspects of creativity and innovation in his treatment of Consensus issues.

The researcher relied on an inductive approach, based on tracing Imam al - Dabusi's statements and texts regarding Consensus; a descriptive approach, which precisely describes the Imam's method in arranging and presenting the topics; and an analytical approach, which analyzes the content of his texts to extract legal rules and principles.

Keywords: Usul al - Fiqh, Methodologies of Legal Theorists, Consensus (Ijma'), Organization and Presentation, Juristic Applications, Analytical Method.

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ (١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ (٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ (٣).

أما بعد، فإن علم أصول الفقه، هبة الله لهذه الأمة، هو علم النظر والبذل واستفراغ الوسع، وعلم البحث والتدقيق، به تميزت القواعد، وعرف الحلال والحرام، ومن تمام نعم الله عليَّ أن وفقني للبحث في موضوع «المنهج الأصولي للإمام الدبوسي في الترتيب الشكلي والتناول الموضوعي للإجماع في كتابه تقويم الأدلة – دراسة أصولية –» لأحاول أن استخرج منهج الإمام الدبوسي في الترتيب الشكلي والتناول الموضوعي للإجماع في كتابه تقويم الأدلة.

أولاً: أهمية البحث:

١ - التعريف بمفهوم المناهج الأصولية، ونبذة عن ترجمة الامام الدبوسي.

٢ - التعرف على الترتيب الشكلي، والتناول الموضوعي لمباحث الإجماع عند الإمام الدبوسي في كتابه تقويم الأدلة.

٣ - الوصول إلى دراسة نقدية، بشقيها الإيجابي، والسلبي لتسهيل عملية التعامل مع مباحث الإجماع عند الدبوسي.

(١) سورة آل عمران، آية (١٠٢).
(٢) سورة النساء، آية (١).
(٣) سورة الأحزاب، الآيتان (٧٠).

ثانيًا: مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة الدراسة في الأسئلة الآتية:

١ - ما هو تعريف المناهج الأصولية في ترتيب، وتناول مباحث الإجماع ؟

٢ - ما هو منهج الإمام الدبوسي في الترتيب الشكلي لمباحث الإجماع في كتابه تقويم الأدلة ؟

٣ - ما هو منهج الإمام الدبوسي في التناول الموضوعي لمباحث الإجماع في كتابه تقويم الأدلة ؟

ثالثًا: أهداف البحث:

١ - استنتاج مفهوم المناهج الأصولية في ترتيب، وتناول مباحث الإجماع.

٢ - معرفة وتحليل منهج الإمام الدبوسي في الترتيب الشكلي لمباحث الإجماع في كتابه تقويم الأدلة.

٣ - معرفة وتحليل منهج الإمام الدبوسي في التناول الموضوعي لمباحث الإجماع في كتابه تقويم الأدلة.

رابعاً: أسباب اختيار البحث:

١ - تطلعت نفسي، لدارسة مناهج العلماء، فوقع اختياري لموضوع « منهج الدبوسي في ترتيب و تناول موضوعات الإجماع في كتابه تقويم الأدلة – دراسة أصولية – «.

٢ - حاجة المباحث الأصولية لمزيد من العطاء، والنظر، والبحث، وإعادة العرض بأسلوب جديد يقرب هذا العلم لطلابه، ويوضح مناهج المتقدمين، ودقة عرضهم، وأساليبهم.

خامسًا: الدراسات السابقة:

لم أقف على بحث تناول منهج الدبوسي في ترتيب، وتناول موضوعات الإجماع بشكل خاص، وإنما وجدت بعض الدراسات في ترتيب الموضوعات الأصولية عمومًا على النحو الآتي:

١ - المناهج الأصولية في دراسة موضوعات التعارض والترجيح موازنة ومقارنة: للباحثة هبة محمد خالد منصور. بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، العدد (١٩٢)، الجزء الثاني، مارس ٢٠٢٠م. حيث اقتصر البحث على الترتيب الشكلي والتناول

الموضوعي لموضوعات التعارض والترجيح، أما هذا البحث فهو يتناول جانبًا آخر من علم أصول الفقه وهو الإجماع.

٢ - ترتيب الموضوعات الأصولية ومناسباته. . دراسة استقرائية تحليلية: للدكتور هشام محمد، كتاب منشور، دار أم القرى. حيث قام الباحث بتتبع وعرض الموضوعات الأصولية من الكتب الأصلية لجميع موضوعات أصول الفقه، فقام باستقراء وتتبع كتب الحنفية، والشافعية، والمالكية، والحنابلة، والظاهرية، والمعتزلة، ثم تطرق لكتب المدرسة الجامعة. اقتصر الباحث على عرض مناهج العلماء في الترتيب الشكلي دون التناول الموضوعي، كما أن دراستي اختصت بدراسة منهج الدبوسي في موضوعات الإجماع.

سادسًا: الجديد في البحث:

· استقصاء واستقراء منهج الإمام الدبوسي في ترتيب وتناول مباحث الإجماع في كتابه تقويم الأدلة.

· النقد الشكلي، والموضوعي لمنهج الإمام الدبوسي في ترتيب وتناول مباحث الإجماع في كتابه تقويم الأدلة.

سابعًا: منهج البحث: يقوم هذا البحث على أساس المنهج العلمي القائم على:

١ - الاستقراء: استقراء موضوعات الإجماع من كتاب تقويم الأدلة للدبوسي وتتبع منهجه في الترتيب الشكلي والتناول الموضوعي.

٢ - التحليل: تحليل النصوص الأصولية في باب الإجماع ؛ للوصول إلى منهج الدبوسي في ترتيب وتناول موضوعات الإجماع.

ثامنًا: إجراءات البحث:

١ - الاعتماد على المصادر، والمراجع الأصلية في الدراسة، والتحرير، والتوثيق، والتخريج، والجمع.

٢ - التركيز في موضوع البحث، وتجنب الاستطراد في غير محله.

٣ - كتابة الآية من المصحف، مع ذكر السورة، والرقم.

٤ - تخريج الأحاديث من كتب الصحاح، والسنن، شرح الألفاظ الغريبة من كتب اللغة.
٥ - لا أترجم للأعلام، سواء المشهورين، أو غير المشهورين، وأكتفي ببيان الاسم الثلاثي، وسنة الوفاة، والمصدر.
٦ - عند الإحالة لأول مرة عند ذكر المرجع: أذكر تفاصيل المرجع الذي أحيل إليه (اسم المؤلف، المرجع، التحقيق، الناشر، الطبعة، الصفحة، والجزء) وذلك عند أول ذكر له؛ ثم عند الإحالة إليه مرة أخرى يذكر اسم المؤلف، والمرجع والجزء، ورقم الصفحة فقط.

تاسعًا: خطة البحث: تتكون الدراسة من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفق الآتي:
المبحث الأول: التعريف بالمناهج الأصولية، وترجمة الإمام الدبوسي، وفيه مطلبان: - المطلب الأول: التعريف بالمناهج الأصولية. - المطلب الثاني: ترجمة الإمام الدبوسي.

المبحث الثاني: منهج الإمام الدبوسي في الترتيب الشكلي والتناول الموضوعي لموضوعات الإجماع، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منهج الدبوسي في الترتيب الشكلي لموضوعات الإجماع.
المطلب الثاني: منهج الدبوسي في التناول الموضوعي لموضوعات الإجماع.
المطلب الثالث: أثر المنهج الجدلي في معالجة الدبوسي لمسائل الإجماع.

المبحث الأول: التعريف بالمناهج الأصولية، وترجمة الإمام الدبوسي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالمناهج الأصولية:

سأبين في هذا المطلب التعريف اللغوي والاصطلاحي للمناهج الأصولية، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: المناهج:

المناهج لغة: المنهاج جمع منهج، وجاء في مختار الصحاح: «النهج بوزن الفلس، والمنهج بوزن المذهب، والمنهاج الطريق الواضح، ونهج الطريق أبانه وأوضحه»(١). وجاء في معجم مقاييس اللغة: نهج، النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول النهج، أي الطريق، ونهج لي الأمر: أي أوضحه، والمنهج: الطريق أيضاً، والجمع المناهج(٢)، وقد عرفه ابن منظور في لسان العرب فقال: نهج: طريق نهج: أي بيّن واضح، والنهج: الطريق المستقيم، والجمع نهجات ونهج ونهوج، ومنهج الطريق: أي وضحه، والمنهاج: الطريق الواضح(٣).

ونستخلص من هذه التعاريف أن المنهج في اللغة يدور معناه حول الطريق الواضح.

المناهج في الاصطلاح: قد عرف العلماء المنهج بتعريفات متعددة، فقد عرفه الدكتور فتحي الدريني فقال: «القواعد العامة والمعايير والبحوث العلمية التي يتوصل بها المجتهد إلى استنباط الأحكام من الأدلة»(٤).

وعرفه الدكتور العيسوي بأنه «الطريقة أو الأسلوب الذي ينتهجه العالم في بحثه أو دراسة مشكلته والوصول إلى حلول لها أو إلى بعض النتائج»(٥).

(١) الرازي، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الرازي، (ت٦٦٦هـ): مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ، (ص٣٢٠).

(٢) انظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، (ت٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، (٣٦١/٥).

(٣) انظر: ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الإفريقى، (ت: ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ، (٣٨٣/٢).

(٤) الدريني، فتحي، (ت١٤٣٤هـ): المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٣٤هـ، (٣٦/١).

(٥) العيسوي، عبدالفتاح محمد العيسوي، وعبدالرحمن محمد العيسوي، منهاج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، دار الراتب الجامعية مصر، الطبعة الرابعة ١٩٩٦م، (١٣/١).

وعرفه الدكتور عبدالرحمن بدوي بأنه: «الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيم على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة»(١).

والذي أقصده بالمنهج هنا هو: «أساليب الأصوليين ومذاهبهم في تناول وترتيب موضوعات الأدلة المختلف فيها».

ثانياً: الأصولية:

الأصولية نسبة لعلم أصول الفقه، فقد عرفه البيضاوي فقال بأنه «معرفة دلائل الفقه إجمالاً، وكيفية الاستفادة منها وحال المستفيد»(٢).

وعرفه جمعٌ من العلماء بأنه «القواعد التي يتوصل بها المجتهد إلى استنباط الأحكام الشرعية العملية من الأدلة التفصيلية «(٣).

المطلب الثاني: ترجمة الإمام الدبوسي:

سأتكلم بهذا المطلب عن نبذة مختصرة عن الإمام الدبوسي، اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته، ومكانته، ومصنفاته، ووفاته:

· اسمه ونسبه:

هو الإمام الفقيه القاضي، أبو زيد، عبيد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي.

· مولده ونشأته ومكانته:

وُلد في قرية دبوسية الواقعة بسمرقند، وتلقى تعليمه الفقهي على يد أبي جعفر الاستروشني، الذي بدوره تتلمذ على أبي بكر محمد بن الفضل عن عبدالله السبذموني، يُعتبر أول من أسس علم الخلاف، وكان يُشار إليه كمثال بارز في التعمق في النظر وتحليل الأدلة واستخلاصها(٤).

(١) بدوي، عبدالرحمن، (ت١٤٢٣هـ): مناهج البحث العلمي، الناشر وكالة المطبوعات – الكويت، الطبعة الثانية ١٩٧٧هـ، (٥/١).

(٢) البيضاوي، القاضي ناصر الدين عبدالله بن عمر، (ت٦٨٥هـ): منهاج الوصول إلى علم الأصول، تحقيق الدكتور شعبان محمد، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ، (٥١/١).

(٣) انظر: أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، (ت١٣٩٤هـ): أصول الفقه، دار الفكر العربي، (٧/١)، ابن بدران، عبدالقادر بن أحمد بن مصطفى، (ت١٣٤٦هـ): المدخل إلى مذهب الإمام أحمد، تحقيق الدكتور عبدالله التركي،

(٤) الهندي، المحدث الفقيه محمد عبدالحي اللكوني: القواعد البهية في تراجم الحنفية، اعتنى به أحمد الزعبي، دار

· مصنفاته:

تنوعت مصنفات الدبوسي، ومنها: - تقويم الأدلة في الأصول: وهو الكتاب الذي نتناول منهجه. - تأسيس النظر: وبه أشهر في علم الخلاف. - كتاب الأسرار في الأصول والفروع. - الأنوار في أصول الفقه. - الأمر الأقصى: وهو كتاب يشتمل على نصائح وحكم. - خزانة الهدى. - شرح الجامع الكبير في الفروع.

· وفاته:

توفي في بخارى عام ٤٣٠هـ، يُعد هذا الإمام من أبرز علماء الأصول، وقد أثرى العلوم الشرعية بإسهاماته العلمية، فرحمه الله وغفر له [١].

المبحث الثاني: منهج الإمام الدبوسي في الترتيب الشكلي والتناول الموضوعي لموضوعات الإجماع، وفيه مطلبان: - المطلب الأول: منهج الدبوسي في الترتيب الشكلي لموضوعات الإجماع. - المطلب الثاني: منهج الدبوسي في التناول الموضوعي لموضوعات الإجماع.

المطلب الأول: منهج الدبوسي في الترتيب الشكلي لموضوعات الإجماع.

سأتناول في هذا المطلب الترتيب الشكلي لموضوعات الإجماع في كتاب تقويم الأدلة للإمام الدبوسي:

بدأ الإمام الدبوسي كتابه هذا ببيان أنواع الحجج، فتكلم أولاً عن القرآن، ثم تناول السنة، ثم أتبعهما بثالث الأدلة وهو الإجماع، فبدأ مباحث الإجماع بإفراد بالحديث عن أن إجماع هذه الأمة حجة [٢]، ثم تحدث عن حد الاجماع الذي هو حجة وسما هذا الباب بـ «القول في تحديد الإجماع»[٣]، ثم ختم مباحث الإجماع ببيّان أقسام الإجماع[٤].

يتبين مما سبق منهج الإمام الدبوسي في الترتيب الشكلي لموضوعات الإجماع، فقد وضع الإمام الدبوسي الإجماع ضمن أبواب الأدلة الشرعية بعد بحثه للكتاب والسنة، وهذا يدل على التزامه بالتقسيم الهرمي للأدلة فبدأ بالأقوى ثم ما يليه، كما يظهر اهتمامه بالترتيب المنهجي

الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، (ص ١٨٤).

(١) المرجع السابق.

(٢) الدبوسي، أبي زيد عبيدالله بن عمر (ت ٤٣٠هـ): تقويم الأدلة في أصول الفقه، تحقيق الشيخ خليل الميس، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، (ص٢٣).

(٣) المرجع السابق، (ص٢٨).

(٤) المرجع السابق، (٣١).

لا بحسب زمن الاستدلال، بل بحسب قوة الحجية، كما ظهر لنا حسن ترتيبه لموضوعات الإجماع بتناولها في موضع واحد من الكتاب، ولم يجعل مباحث الإجماع متفرقة في ثنايا كتابه، مما يدل على الوعي المنهجي للإمام الدبوسي في كتابه هذا.

المطلب الثاني: منهج الدبوسي في التناول الموضوعي لموضوعات الإجماع.

سأتناول في هذا المطلب التناول الموضوعي لموضوعات الإجماع في كتاب تقويم الأدلة للإمام الدبوسي:

بدأ الإمام الدبوسي كلامه عن الإجماع بالحديث عن أن إجماع هذه الأمة حجة موجبة للعلم شرعاً، كرامة لهذا الدين، لدلالة أن المجوس اجتمعت على أشياء باطلة، وكذلك سائر الكفرة، ثم بين أن إجماع هذه الأمة حجة، وذكر أدلةً على ذلك، ثم ذكر الاعتراضات على هذه الأدلة، وأجاب عليها [1].

ثم تناول الإمام الدبوسي مسألة أصولية دقيقة تتعلق بحجية السكوت، وهي هل يعد سكوت العلماء أو الصحابة بعد ظهور الفتوى وعدم إنكارهم لها دليلاً على الإجماع، فيقرر أولاً أن الإجماع المعتبر قطعاً هو اتفاق صريح من جميع العلماء، أما محل الخلاف فهو ما إذا قال أحد كبار العلماء أو الصحابة بحكم وانتشر قوله ولم يظهر من الباقين إنكار، فهل يكون هذا السكوت دالاً على الموافقة، وبالتالي يعد نوعاً من الإجماع، وقد ذهب فريق من العلماء، وخصوصاً من الحنفية، إلى أن السكوت بعد اشتهار القول حجة معتبرة، واستدلوا بسكوت كثير من الصحابة عن اجتهادات عمر رضي الله عنه وابن عباس وغيرهما، وقالوا إن العلماء لا يسكتون عن الباطل، وإن الفتوى إذا ظهرت وشاعت لزم ردها إن كانت خطأ، فإذا لم يُنكر أحد كان ذلك إقراراً، والإقرار حجة، بينما ذهب جمهور الأصوليين إلى أن السكوت لا يعد إجماعاً، لأنه قد يكون لعدم العلم أو للتوقف أو للاجتهاد غير المكتمل أو لعدم اهتمام الساكت بالمسألة، وأن السكوت لا يدل على الموافقة، وأن الإجماع دليل قطعي والسكوت ظني فلا يمكن أن يرتقي إلى مرتبة الإجماع، وأن الحق لا يثبت بالاحتمال وإنما بالقول أو الفعل الصريح، ثم يقرر الإمام الدبوسي أن المسألة ليست على الإطلاق، فلا السكوت حجة مطلقة ولا هو باطل مطلقاً، بل

(١) انظر: الدبوسي، أبي زيد عبيدالله بن عمر: تقويم الأدلة في أصول الفقه، (ص٢٣ - ٢٧).

يُعتبر السكوت قرينة إذا وُجدت شروط معينة، منها أن تكون الفتوى مشتهرة معروفة عند العلماء، وأن يكون الساكتون قادرين على الإنكار ولم يفعلوا، وأن يكونوا من أهل الاجتهاد، وأن يمر زمن يسمح بظهور المخالفة لو وُجدت، وأن لا توجد قرائن ترجح أن السكوت سببه غير الموافقة، فإذا توفرت هذه الشروط كان السكوت حجة ظنية مقوية للحكم لا حجة قطعية ملزمة، أما إذا انتفى شرط منها فلا يكون السكوت معتبراً ولا يصح جعله دليلاً على الإجماع، وفي ختام البحث يقرر المؤلف أن إجماع السكوت لا يثبت به حكم قطعي، وإنما غايته أن يكون قرينة تدعم الفتوى إذا انضمت إليه أدلة أخرى، وأن المعتمد عند جمهور الأصوليين أن الإجماع لا يتحقق إلا إذا ثبت اتفاق الجميع صراحة، وأن مجرد السكوت لا يكفي في إثبات الإجماع، وإن كان قد يقوى في بعض الصور على جهة الظن لا على جهة القطع [١].

ثم تحدث عن أقسام الإجماع، وذكر أنها أربعة أقسام: الأول: إقسام الصحابة نصاً، والثاني: إجماع الصحابة بنص البعض وسكوت الباقي، الثالث: إجماع أهل كل عصر بعدهم على حكم لم يسبقهم فيه قول، الرابع: إجماعهم على أحد الأقوال الذين اختلف فيها السلف، ثم ذكر أن من الناس من قال أن إجماع أهل كل عصر حجة، ومنهم من قال أنه لا إجماع لمن بعد الصحابة، ومنهم من قال لا إجماع إلا لأهل المدينة، ومنهم من قال لا إجماع إلا لعترة الرسول ﷺ، ثم بين الدبوسي أن القول الأول هو القول الأصح، وأورد دليله على ذلك، ثم أوضح أن أقوى هذه الأقسام هو إجماع الصحابة نصاً، ثم الإجماع الذي يثبت بنص بعضهم وسكوت الباقي، ثم إجماع من بعد الصحابة على حكم لم يظهر فيه قول من سبقهم، ثم إجماعهم على حكم سبقهم فيه مخالف، وذكر الترتيب في كل قسم، ثم ختم مباحث الإجماع بإيراد أدلة كون إجماع الصحابة حجة [٢].

يتبيّن من خلال كتاب تقويم الأدلة أن الإمام الدبوسي كان يسير على منهج علمي منظم، يهتم فيه بشرح المسائل وبيان الأدلة بطريقة تجمع بين العقل والنقل، فقد كان يذكر الأمثلة التي تساعد القارئ على الفهم وتوسّع مداركه، كما كان يحرص على الاستدلال بالآيات والأحاديث، ويبيّن وجه الدلالة منها بدقة، وكان يعتمد أيضًا على الدليل العقلي في توضيح المعاني وتقوية الحجة، ومع ذلك، فإن عباراته في هذا الكتاب تعد صعبة إلى حدٍّ ما، لأن أسلوبه دقيق ويحتاج

(١))انظر، المرجع السابق، (ص٢٨ - ٣٠).
(٢) انظر: الدبوسي، أبي زيد عبيدالله بن عمر: تقويم الأدلة في أصول الفقه، (ص٣١ - ٣٣).

القارئ إلى التأمل لفهم مقصوده، كما كان الإمام الدبوسي يبدأ بعرض المسائل من أصولها، فيذكر الأدلة ثم يناقش آراء العلماء فيها، ولا يكتفي بالنقل فقط، بل يعقّب عليها بالنقد والتحليل والموازنة، ومن خلال ذلك يظهر أن منهج الإمام الدبوسي يجمع بين وضوح الدليل، وعمق التفكير، والحرص على بيان الحق بدليل نقلي وعقلي معًا.

المطلب الثالث: أثر المنهج الجدلي في معالجة الدبوسي لمسائل الإجماع: يعتبر الإمام الدبوسي رائداً في علم الخلاف، وقد انعكست هذه الملكة الجدلية بوضوح على تناوله لمسائل الإجماع في كتابه «تقويم الأدلة»، ويمكن إبراز معالم هذا المنهج من خلال الآتي:

أولاً: صياغة المسائل بأسلوب المناظرة لم يكتفِ الدبوسي بسرد أقوال الفقهاء في مسائل الإجماع (كإجماع السكوت أو إجماع من بعد الصحابة)، بل كان يصيغ المسألة بأسلوب «السؤال والجواب» أو «الاعتراض والاندفاع». فهو يورد الشبهة التي قد يطرحها الخصم (سواء من المعتزلة أو منكري الحجية) ثم يشرع في تفكيكها بناءً على القواعد العقلية والنقلية، مما يجعل دراسته للإجماع دراسة «دفاعية» تثبيتية لحجية المصدر.

ثانياً: التقعيد للمسائل الخلافية يظهر منهج الدبوسي في استخدامه للإجماع كأداة لترجيح المسائل الخلافية بين المدارس الفقهية. فهو لا يدرس الإجماع كمجرد «باب أصولي» معزول، بل يربطه بالتطبيقات الفقهية، مبيناً كيف يمكن للإجماع (بأنواعه المختلفة) أن يحسم النزاع في الفروع، وهذا ما يميز مدرسته التي تمزج بين الأصول والفروع

. ثالثاً: الموازنة بين الدليل العقلي والنقلي في هذا المطلب، يظهر جلياً أن الدبوسي كان يستخدم «القياس» والعقل لإثبات إمكانية وقوع الإجماع وشرعيته، رداً على من حصر الإجماع في دائرة ضيقة. هذا النفس الجدلي أعطى لمباحث الإجماع عنده عمقاً نظرياً يتجاوز مجرد النقل التاريخي لاتفاق العلماء.

الخاتمة والنتائج

الحمد لله حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه على تمام هذا البحث، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فبعد عرض منهج الدبوسي في التناول الموضوعي والترتيب الشكلي لموضوعات الإجماع في كتابه تقويم الأدلة، فقد توصلت الدراسة إلى معالم منهج الإمام الدبوسي في الترتيب الشكلي والتناول الموضوعي لموضوعات الإجماع في كتابه تقويم الأدلة، وهي أن الإمام الدبوسي قد بحث الإجماع ضمن أبواب الأدلة الشرعية بعد بحثه للكتاب والسنة، وهذا يدل على التزامه بالتقسيم الهرمي للأدلة فبدأ بالأقوى ثم ما يليه، كما يظهر اهتمامه بالترتيب المنهجي لا بحسب زمن الاستدلال، بل بحسب قوة الحجية، كما ظهر لنا حسن ترتيبه لموضوعات الإجماع بتناولها في موضع واحد من الكتاب، ولم يجعل مباحث الإجماع متفرقة في ثنايا كتابه، مما يدل على الوعي المنهجي للإمام الدبوسي في كتابه هذا، كما تبين لنا منهجه في التناول الموضوعي، فقد كان يسير على منهج علمي منظم، يهتم فيه بشرح المسائل وبيان الأدلة بطريقة تجمع بين العقل والنقل، فقد كان يذكر الأمثلة التي تساعد القارئ على الفهم وتوسّع مداركه، كما كان يحرص على الاستدلال بالآيات والأحاديث، ويبيّن وجه الدلالة منها بدقة، وكان يعتمد أيضًا على الدليل العقلي في توضيح المعاني وتقوية الحجة، ومع ذلك، فإن عباراته في هذا الكتاب تعد صعبة إلى حدٍّ ما، لأن أسلوبه دقيق ويحتاج القارئ إلى التأمل لفهم مقصوده، كما كان الإمام الدبوسي يبدأ بعرض المسائل من أصولها، فيذكر الأدلة ثم يناقش آراء العلماء فيها، ولا يكتفي بالنقل فقط، بل يعقّب عليها بالنقد والتحليل والموازنة، ومن خلال ذلك يظهر أن منهج الإمام الدبوسي يجمع بين وضوح الدليل، وعمق التفكير، والحرص على بيان الحق بدليل نقلي وعقلي معًا.

التوصيات:

بعد الانتهاء من دراسة منهج الدبوسي في ترتيب وتناول موضوعات الإجماع يوصي الباحث بما يلي:

١ - العناية بدارسة مناهج الأصوليين في المقررات الدراسية.

٢ - الإعداد لمؤتمر علمي لتناول مناهج الأصوليين في الإجماع.

٣ - تشجيع الباحثين على دراسة مناهج الأصوليين في أبواب أخرى.

٤ - عمل ندوة علمية تتناول مناهج الأصوليين في ترتيب وتناول موضوعات الإجماع بشكل مفصل.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم.

الرازي، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الرازي، (ت٦٦٦هـ): مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ،.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، (ت٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ،.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الإفريقى، (ت: ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ،.

الدريني، فتحي، (ت١٤٣٤هـ): المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٣٤هـ،.

العيسوي، عبدالفتاح محمد العيسوي، وعبدالرحمن محمد العيسوي، منهاج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، دار الراتب الجامعية مصر، الطبعة الرابعة ١٩٩٦م،.

بدوي، عبدالرحمن، (ت١٤٢٣هـ): مناهج البحث العلمي، الناشر وكالة المطبوعات – الكويت، الطبعة الثانية ١٩٧٧هـ،

البيضاوي، القاضي ناصر الدين عبدالله بن عمر، (ت٦٨٥هـ): منهاج الوصول إلى علم الأصول، تحقيق الدكتور شعبان محمد، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ،

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، (ت١٣٩٤هـ): أصول الفقه، دار الفكر العربي.

ابن بدران، عبدالقادر بن أحمد بن مصطفى، (ت١٣٤٦هـ): المدخل إلى مذهب الإمام أحمد، تحقيق الدكتور عبدالله التركي،

السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي، (ت٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق د. محمود الطناجي، د. عبدالفتاح الحلو، الناشر هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ.

الدبوسي، أبي زيد عبيدالله بن عمر (ت ٤٣٠هـ): تقويم الأدلة في أصول الفقه، تحقيق الشيخ خليل الميس، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.